الزهد في شعر محمد بن حازم الباهلي

المدرس المساعد
بيان علي عبدالرحيم المظفر
جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة

المقدمة

تناول هذا البحث شاعراً ينتمي إلى العصر العباسي والى القرن الثاني الهجري وهو محمد بن حازم الباهلي وقد وقع اختياري على الزهد عند شاعرنا لما لهذا الغرض من آثر في نفسي لأني أحب الشعر المتأمل والخالي من شوائب المديح وجوائزه والهجاء فهو لا يطلب إلاّ رضا الله ومغفرته واقناع النفس لذا جاءت الدراسة على النحو الآتي **التمهيد** ويشمل حياة الشاعر ونبذة مختصرة عن الزهد. ثم درست في **القسم الأول** موضوعات شعر الزهد عند شاعرنا وتشمل القناعة والموت والشيب. أما **القسم الثاني** فقد خصصته للدراسة الفنية إذ درست

اللغة والصورة والموسيقى. ثم ختمت البحث بكلمة ختامية ذكرت فيها أهم النتائج والمصادر والمراجع التي اعتمدتها في كتابة هذا البحث .

التمهيد

حياة الشاعر

هو الشاعر العباسي محمد بن حازم الباهلي بالولاء وكنيته (أبو جعفر)[١] ولقد أجمع من ترجم له على أنه ولد ونشأ بالبصرة لكنه انتقل إلى بغداد فسكنها[٢] وليس لدينا دليل لا في مصادر ترجمته ولا في شعره – على سبب انتقالة إلى بغداد.

ثم أننا لم نجد شيئاً عن أخباره في البصرة. ومع ان المصادر التي ترجمت له تشير إلى انه سكن بغداد فان أبا الفرج يذكر أنه غادرها بضع مرات الى في الجنوب الغربي من بلاد فارس قاصداً رجلاً من التتار يعرف بابي ذؤيب[٣].

ومن أخباره المتفرقة انه اتصل بالخليفة المأمون والحسن بن سهل(*) وعبدالله بن طاهر، وابراهيم بن المهدي ويبدو ان هؤلاء هم الذين مدحهم شاعرنا فقط فقد ذكر أبو الفرج أن شاعرنا كان راضياً باليسير ولا يتصدى لمدح ولا طلب .

وفي تطرقنا لزهد شاعرنا فاننا نجد ابن المعتز يتهمه بافتعال ذلك إذ يقول: ((وابن حازم يصف نفسه بالقناعة والنزاهة وكان أحرص من كلب))[٤]. وكذلك فعل ابن الجراح إذ قال: ((كان يظهر القناعة ويكثر القول فيها، وهو أسأل الخلق وله في الشيب اشعارٌ حسان))[٥]. ولكن ابن المعتز يعود ليكفنا الدفاع عن شاعرنا إذ يقول:- ((وذكر على خلاف ما وصفنا من حرصه وكلبه فعل عجيب يدل على كبر الهمة وشرف النفس))[٦].

وفاته

لم يذكر احد من المؤرخين سنة وفاته. مثلما لم يذكر احد سنة ولادته سوى ان أخباره تنحصر في زمن المأمون والحسن بن سهل ويحيى بن أكثم(**) لذا ان وفاة شاعرنا كانت سنة ٢١٥هـ وان كنا نرجح سنة ٢١٧ أو ٢١٨هـ لان أبا الفرج يذكر ان الأمام ثعلب (أحمد بن يحيى) التقى محمد بن حازم في أواخر أيامه.

ولما كان دخول أحمد بن يحيى ميدان النظر في الشعر واللغة والأدب سنة (٢١٦هـ) فمن الأرجح ان تكون وفاة شاعرنا بحدود سنتي (٢١٧- ٢١٨هـ) اذا اخذنا

بنظر الاعتبار ما أ ورده الخطيب البغدادي من قول لثعلب عن بداية اهتمامه بالشعر واللغة والأدب[٧].

إلا ان الذي نعلمه – عن طريق أبي الفرج – هو ان محمد بن حازم جاوز الخمسين في حياته بدلالة شعره[٨] ويذكر في ديوانه انه عاش خمسة وخمسين عاما[٩].

شعره

يجد المتتبع لشعر محمد بن حازم بعضاً من الأغراض الشعرية المعروفة، وعلى وجه التحديد الهجاء والمدح والزهد والشكوى من الناس والزمان والشيب وبكاء الشباب ويختلف المقياس الكمي من غرض إلى آخر في شعره فمن خلال ما وصل ا لينا من شعره نجد ان المديح فيه قليل جداً فقد مدح المأمون والحسن بن سهل ومرد ذلك قناعة الشاعر وزهده في الحياة .

اما بالنسبة للهجاء فانه ذو حظ وافر فشاعرنا كثير الهجاء كثير العتاب على من جافاه فقد أورد له أبو الفرج شعراً كثيراً في هجاء الطاهري محمد بن حميد وأحمد بن سعيد بن سالم. كما يذكر له شعراً كثيراً في هجاء الناس[١٠].

وما يهمنا وهو موضوع بحثنا **الزهد** اذ يمثل الطابع العام من شعره الذي وصل الينا ويبدو ان شاعرنا – لسبب لم نتعرف عليه – اقلع عن لهوه ومجونه وآختط لنفسه طريق الزهد في الحياة وحض الناس على أتباعه ونبذ الحرص على ما هو فان. لذلك أ كثر من أشعار الزهد مكفراً بها عما قدمت يداه من مجون وخلاعة فاننا نجد أنه وفي المرحلة التي تقدم بها عمره وصبغ الشيب رأسه يكثرمن ذم الشيب ويبكي على الشباب وأيامه وملاعبه.

لذلك نستطيع ان نقول بان الشيب كان ناقوساً في حياة الشاعر أيقظه من غرقه في اللهو والملذات ونبهه انه لا تستقم حياة اللهو مع وقار الشيب وذلك ما جعله ينصرف إلى الشيب وكان على وعي تام أذ أفاد من تجارب شبابه في اللهو ومصاحبة المجان من ان لا شيء يبقى خالداً ولا يرى الا الله[١١].

نبذه مختصرة عن الزهد

الزهد:- معناه القلة والزاهد في الدنيا التارك لها ولما فيها حباً بالاخرة والجمع زهاد[١٢]. فالزهد قد ظهر منذ العصر الجاهلي موضوعاً من موضوعات الشعر

العربي حتى ان المستشرق كارلو نلينو يعد الزهد من موضوعات الشعر الجاهلي اذ يقول: ان دينه حمله على زوال الدنيا فقال مثلاً بلسان حال المقابر :-

من رآنا فليحدّث نفسهُ	أنهُ موفٍ على قرنِ زوالِ
وصروفُ الدهر لا يبقى لها	ولا تأتي به صُمُّ الجبالِ
رب ركبٍ قد أناخوا عندنا	يشربون الخمر بالماء الزلالِ
عمروا دهراً بعيشٍ حسنٍ	آمن دهرهم غير عجالِ
ثم اضحوا عصف الدهر بهم	وكذاك الدهر يودي بالرجالِ[١٣]

اما اذا دخلنا الى العصر الاسلامي نجد الدكتور شوقي ضيف يذهب إلى ان الزهد نشأ نشأه اسلامية خالصة فقد دعا اليه القران الكريم ودعت اليه السنة النبوية[١٤]، كما في قوله عز وجل ((وكانوا فيه من الزاهدين))(***)، وفي الحديث النبوي ((أفضل الناس مومنٌ مزهدٌ))(****) .

وقد نقل صاحب العقد الفريد بعضاً من الأقوال للرسول ﷺ عن الزهد منها ((قيل لرّسول الله ﷺ يا رسول الله من أزهد الناس في الدنيا ؟ قال: من لم ينسَ المقابر والبلى وآثر ما يبقى على ما يفنى وعد نفسه مع الموتى))[١٥] .

نقل صاحب زهر الآداب قولاً للخليفة الأول أبي بكر الصديق ((رضى الله عنه)) عن الزهد ((أنكم في مهل من ورائه أجل فبادورا مهل آجالكم قبل ان تنقطع آمالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم))[١٦] وكذلك نقل الحصري للخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قولاً عن الزهد ((ما كانت الدنيا همّ رُجل قط الا لزم قلبه أربع خصال، فقر لا يدرك غناهُ، وهم لا يعرف مداه وشغل الاه، وامـلٌ لا يبلغ منتهاه))[١٧] .

اما عثمان بن عفان فكان كثيراً ما يتذكر الموت حتى انه إذا ما وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته اذ قال: ((وددتُ أني اذا متُ لا ابعث خوفاً من

الحساب))[١٨] . وجاء في نهج البلاغة قول للامام علي (عليه السلام) في الزهد، كان الامام علي (عليه السلام) يخاف من المال خوفاً شديداً فيقول لاصحابه :- (المال مادة الشهوات)[١٩] .

وحين يتبع الدكتور شوقي ضيف حركة الزهد في العصر الأموي يلاحظ أهم اقليم انتشرت فيه هو اقليم العراق وقد تأثر فيها بعناصر اجنبية وانها نشطت في هذا العصر لكثرة الحروب وما تجره الحروب من آثار تلجئ الناس الى الزهاده فضلاً عن ظلم حكامهم وولاتهم اذ ان الظلم يشعر الناس بضروة التجائهم الى الله لينجيهم مما هم فيه والى الدين يستمدون منه الصبر وقوة الاحتمال[٢٠] .

ومن الشعراء الامويين الذين تناولوا هذا الموضوع الطرماح اذ يقول:-

كل حي مستكملٌ عدة العمر ومودٍ اذا انتقض عددُه
عجباً ما عجبتُ للجامع المال يُباهى به ويرتفدُه

يوم لا ينفع المخوّل ذا الثروة فلانُهُ ولاولدُه

انما الناس مثل نابته الزرع متى يان باتَ مُحتصدُه[٢١]

على أنّ هذه الأشعار التي ظهرت في القرن الأول ليستْ هيَ الشعر الزهدي الذي ظهر في القرن الثاني وانها تختلف عنه اختلافاً جوهرياً اذ يمكن ان نعد هذا الشعر الذي توجد فيه عناصر الزهد والتقوى والايمان الذي ظهر في القرن الأول ارهاصاً للشعر الزهدي الذي برز في القرن الثاني .

لكن أول حقيقة ينبغي التنبه اليها ان الزهد في القرن الثاني انما هو مذهب له خصائص معينة وله اصول وعناصر يرتكز عليها وليس مجرد ميل فطري الى

الزهاده وتقوى الله او حالة من حالات الايمان يصدرها الشاعر، بل انه فكرة عميقة يعتنقها الشاعر فتتغلغل في كيانه[٢٢] .

وهنالك كثير من الشعراء الذين ظهروا في القرن الثاني وعبروا عن اتجاه الزهد لكن الذي يهمنا هنا محمد بن حازم الباهلي لذا سوف ادرس شعره من جانبين:- الجانب الموضوعي و الجانب الفني .

القسم الاول

الجانب الموضوعي : -

فمن الموضوعات التي طرقها شاعرنا في زهده

الشيب:- والشيب عند شاعرنا يحمل دلالة كبر السن والقرب من الموت والتبشير بقرب الآجل والاتعاظ بمصير الانسان الزائل إذ يقول في ذم الشيب موضحاً ظهور الشيب في مفارقه وابتعاد صاحبه عنه فالشيب يقف عارضاً:-

لما أضاءت بالمشيب مفارقي — صدت صدود مفارقٍ متجملِ
فجعلت أطلب وصلها بتذللٍ — والشيب يغمزها بالا تفعلي[٢٣]

وقد كان الشيب واحداً من ثلاثة أمور يمر بها المرء (السن، الشيب، الجهل)

أبعد خمسين أصبو ؟ — والشيب للجهل حربُ
سنٌ وشيبٌ وجهلٌ — أمرٌ لعمرك صعبُ[٢٤]

ويقارن الشاعر بين البكاء نتيجة الالم وبين المعزي الذي يتذكر نعمته ثم يحين الشيب فيسلب المرء حلاوة الشباب وليس بمعزٍ عندما يحين المشيب مذكراً مهدداً بالموت :-

فمن بين باكٍ له موجعٍ — وبين معزٍ معذٍ اليه
ويسلبهُ الشيبُ شرخ الشبابِ — فليس يعزيه خلقٌ عليه[٢٥]

وقال يمدح الشباب الذي انقض بقوته ورجولته وذم الشيب الذي أمسى عيباً عليه:-

كفاك بالشيب عيباً عند غانيةٍ وبالشباب شفيعاً ايها الرجل[٢٦]

ويعود للشيب ذاكراً حالة تقليدية كررها الشعراء وهي رحيل الشباب وحلول المشيب :-

وقد رحل الشبابُ وحلّ شيبٌ فهل لك في شبابك من رجوع[٢٧]

ومن الموضوعات الاخرى التي تناولها شاعرنا (القناعة) ففي القناعة حرص على الشخصية وعدم الانفلات لملذات الدنيا وفيها عزٌ والخروج عنها ذل وتكون القناعة ذات وقع في النفس اذ يقول:-

أضرع الى الله لا تضرع الى الناس وأقنع بيأس فانّ العزّ في اليأس
وأ ستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى عن الناس[٢٨]

وقوله مؤكداً على الحرص الذي يحبه الانسان وان المقادير بيد الله :-

فلا تحرصنّ، فانّ الامورَ بكفّ الاله مقاديرُها[٢٩]

وقوله ايضاً ناصحاً بأخذ القليل من العيش والقناعة :-

خُذ من العيش ما كفى ومن الدهرِ ما صفا[٣٠]

وقال ايضاً في القناعة :-

من أعمل اليأسَ كان اليأسُ جاعله معظماً أبداً في أعين الناس
ومن رماهم بعينِ الطامعين رأى ذلاً وحسوهُ مُرَّ المنع في كاسِ[٣١]

وقوله ايضاً :-

فعش بالقوت يوماً بعد يومٍ كمصّ الطفلِ فيقات الضروع
ولا ترغب إلى احدٍ بحرصٍ رفيع في الأنام ، ولا وضيع[٣٢]

وقوله ايضاً في القناعة :-

الله أحمدُ شاكراً فبلاؤهُ حسنٌ جميلُ
أصبحت مستوراً معاً في بين انعمةٍ أجولُ[٣٣]

ومن الموضوعات التي تناولها شاعرنا في زهده (الموت) فقد نظر شاعرنا إلى الموت بتعمق وتبصر فوجد ان الزهد يكاد يكون متبنياً لتلك اللفظة بل ممتلكاً لها اذ يقول :-

ومنتظرٍ للموت في كل ساعةٍ ... يشيدُ ويبنى دائباً ويحصنُ
له حين تبلوهُ حقيقة موقنٍ ... وأفعاله أفعالُ من ليس يوقنُ[٣٤]

وقوله ايضاً في الموت :-

هون عليك فكل الامر ينقطع ... وخلّ عنك عنان الهمّ ينـدفعُ
فكل هم له من بعده فـرج ... وكلُ أمر اذا ما ضـاق يتسعُ
إن البلاء وان طال الزمان بـه ... فالموتُ يقطعهُ، او سـوف ينقطعُ[٣٥]

القسم الثاني :-

الجانب الفني : -

١- اللغة:- شهدت لغة الشعر في القرن الثاني تطوراً كبيراً لم تشهده في عصورها السابقة حتى أصبحت تختلف إلى حد كبير عن اللغة التي كانت مستعملة في القرون السابقة فقد كانت لغة الشعر صعبة غريبة وهي صدى للبيئة التي يعيش فيها الشاعر فالحضارة لم تكن معروفة عند الشاعر القديم ولكن بعد التطور الحضاري ولدت لغة جديدة واهم مميزاتها بعدها عن الكلمات الوحشية المبتذلة[٣٦] وشاعرنا محمد بن حازم واحد من الشعراء الذين عاشوا في القرن الثاني[٣٧] وكانت لغته مرآة صادقة للغة العصر الذي عاش فيه .

واهم مميزات لغته التعبير ببساطة فهو يعبر عما يعتمل في نفسه بلغة بسيطة واضحة فيقول :-

اضرع الى الله لا تضرع الى النـاس ... واقنع بيأس ، فان العزّ في اليأس
وآستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغنى من آستغنى عن النـاس

فكيف أبتاع فقراً حاضراً بغنى وكيف اطلب حاجاتي من الناس[٣٨]

فهذه لغة سهلة خاليه من أي غموض او غرابة وايضاً من مميزات شعره تلك الألفاظ الموحية التي تنطق بها نفسيته فالفاظ الموت، القناعة، الشيب وغيرها تتردد في زهده وهي كافية وحدها لتفجر فنياً حالات من الحزن ...وكذلك استعان الشاعر بشتى الوسائل للتعبير عن شكواه ومن هذه الوسائل استخدام الاساليب النحوية كالاستفهام والنهي والأمر التي ساقها على وفق الموجة النفسية التي تنتابه لإكساب زهده القوة والتأثير والتوضيح ممثلاً في أسلوب الاستفهام :-

كم إلى كم أنت للحر من وللامال عبد[٣٩]

ويستخدم ايضاً اسلوب الامر ناصحاً :-

هوّن عليك فكل الامر ينقطع وخلّ عنان الهمّ يندفع[٤٠]

وقوله ايضاً في أسلوب الأمر ناصحاً بأخذ القليل من العيش والقناعة اذ يقول :-

خذ من العيش ما كفى ومن الدهر ما صفا[٤١]

ويقول في اسلوب النهي مؤكداً فيه على الحرص الذي يحبه الانسان وان المقادير بيد الله :-

فلا تحرصنّ ، فانّ الامورّ بكفّ الاله مقاديرها[٤٢]

وقوله ايضاً ناهياً عن الفرح وعدم اليأس بعد حدوث الامر الصعب :-

فلا تفرح بأمرٍ قد تولى ولا تيأس من الامرِ السحيق[٤٣]

ومن الأساليب التي استخدمها شاعرنا ايضاً الأساليب غير الطلبية ومنها التعجب اذ قال مستخدماً التعجب بصيغة الاستفهام :-

فكيف أبتاع فقراً حاضراً بغنى وكيف أطلب حاجاتي من الناس[٤٤]

وكذلك استخدم الاساليب الخبرية فهي ثلاثة انواع الابتدائي والطلبي والانكاري فقد ورد عند شاعرنا الخبر الابتدائي اذ يقول :-

أشدُّ من فاقةٍ وجوعٍ إغضاء حرٍ على خضوع[٤٥]

وفي عجز البيت نجد الخبر الابتدائي لان المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر .

وقوله ايضاً في الخبر الطلبي المؤكد باداة (ان)

فلا تحرصنّ، فانّ الأمور بكفّ الالـــه مقاديرها[٤٦]

وكذلك استخدم الخبر الانكاري في قوله :-

وان قال بعضُ الناس فيه سماجة فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمج[٤٧]

وهكذا نجد شاعرنا قد تفاعل مع اللغة تفاعلاً حيوياً واستطاع ان يعبر من خلالها عن نوازعه وهواجسه تعبيراً صادقاً .

٢- الصورة :- الصورة بمعناها العام ((تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها))[٤٨] لذا نلاحظ عند شاعرنا ان شعره كان يمثل اتجاهاً واقعياً في تصوير الواقع ولهذا انشغل الشاعر بالتعبير عن حالته والاتيان بالمعنى القريب فجاءت صوره عفوية بسيطة غير متكلفة ولعل ذلك يفسر لنا قلة عنايته بصوره الفنية وعدم بلوغها المستوى الفني المطلوب كما في قوله:-

هون عليك فكل الامر ينقطع وخلّ عنك عنان الهمّ يندفعُ
ان البلاء وان طال الزمان به فالموت يقطعهُ او سوف ينقطعُ[٤٩]

فقد عبر عن زهده تعبيراً مباشراً وافصح عن ذاته .

اما الصنعة الشعرية فقد اعانت الشاعر على صياغة افكاره ومن هنا عدت الصورة (ميدان العمل الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر ويبرز تمكنه من الصنعة))[٥٠] فمن فنون الصنعة الشعرية التي وردت في شعره الكناية والمقصود بها ان يكنى عن الشئ ويعرض به من دون تصريح لذا اتخذها الشاعر اداة للتعبير حينما لا يمكنه التصريح بزهده كما في قوله :-

والدهر قد طرفت عنا نواظرهُ فما تروعنا الاحداثُ والنوب[٥١]

فهو يكنى عن صفة الدهر الذي عميت عيناه ونواظره عن الانسان .

وحين يصف الباهلي اعتداده بذاته يكني عن كرامته بصون الوجه صفة للكرامة وعدم سكب ماء كرامته رخيصاً

لعمرك للقليلُ أصونُ وجهي به في الا وحدين وفي الجميع[٥٢]

ويكنى عن صفة اخرى وهي جمع المال بقوله : -

فتى كنز الأموال تحت عجانه اذا كنز الناسُ الندى والتكرما[٥٣]

وتظهر هنا صفة جمع المال مقارنة بين صفة يجتمع عليها غيره وهي الكرم وبذل المال والعطاء، فالميزة التي غلبت على صورته انها جاءت دون تكلف أو افراط .

ومن الظواهر البارزة في شعره التجنيس والملاحظ ان الشاعر لا يقصد الجناس قصداً وانما يأتي في شعره عفو الخاطر لذلك فان جناسه بالرغم من بساطته يساعد على أعطاء الصورة التي يريدها الشاعر إذ قال : -

وان يك وقتها شيب الغراب فلا قضيت ولا شاب الغراب[٥٤]

وقال :-

اضرع إلى الله لا تضع إلى الناس واقنع بيأس فأن العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس[٥٥]

وقوله :-

هون عليك فكل الأمر ينقطع وخلّ عنك عنان الهم يندفع[٥٦]

وقوله : -

ان البلاء وان طال الزمان به فالموت يقطعهُ او سوف ينقطع[٥٧]

وقوله :-

له حين تبلوهُ حقيقة موقن وافعاله افعال من ليس يوقن[٥٨]

وقوله :-

دببتُ أمشي على الكفين المسهُ كمشي مسترق للسمع أسرار[٥٩]

وقوله :-

قد بلـــوتُ النـــاس طـــراً لم أجـــد في الناس حـــرا[٦٠]

فقد جانس بين (الغراب) و(الغراب) وبـين (اضـرع) و(تـضرع) وبـين (استغنى) و(استغنى) وبين (ينقطع) و(يندفع) وبين (يقطعهُ) و(ينقطع) وبين (موقن) و(يوقن) وبين (امشي) و(كمشي) وبين (طراً) و(حرا) ويرد الطباق عنـد شـاعرنا بكثرة وكان طباقه من النوع البسيط .

وان يك وقتها شيب الغراب فلا قضيت ولا شاب الغراب[٦١]

فقد طابق بين (شيب) و(شاب) وقوله :-

الا انما الدنيا على المرء فتنةٌ على كل حالٍ ، أقبلت ام تولت[٦٢]

فقد طابق بين (أ قبلت) و(تولت) وقوله :-

وقد رحل الشباب وحل شيب فهل لك في شبابك من رجوع[٦٣]

فقد طابق بين (رحل) و(حل) وبين (شيب) و(شبابك) وقوله:-

لعل دهراً اتى بنـــحسٍ يكر بالسعـــد في الرجوع[٦٤]

وطابق بين (نحس) و(سعد) وقوله :-

يمسي ويصبح بي عمرٌ ادافعهُ برزقِ ربي حتى ينفـد الاجل[٦٥]

فقد طابق بين (يمسي) و(يصبح) وقوله:-

ان الزمان وما يفنى له عجبٌ أبقى لنا ذنباً واستأصل الراس[٦٦]

وطابق بين (يفنى) و(ابقى) وقوله مطابقاً بين (اوله) و(آخر)

لا تفرحن بليلٍ طاب اوله فربّ آخـر ليل أجـــج النارا[٦٧]

وهذا يلاحظ ان استعماله للالوان البلاغية لم يكن متكلفاً فالشاعر لا يقصدها لـذاتها وانما تأتي في غالب شعره عفو الخاطر بلا تكلف او افراط .

٣- **الموسيقى:**- عنصر مهم من عناصر العمل الشعري، وقد اكدّها ابـن رشـيق القيرواني واصفاً أياها بـ ((أعظم أركان الشعر وأولاها خصوصية))[٦٨] وكلنا نعلم

بأن الوزن هو الفارق الأساس بين الشعر والنثر .. فالموسيقى تعني ((الطاقة الموسيقية المتمثلة بالأوزان والقوافي وهي أحدى الطاقات الفنية في الشعر ولها أثر في الأداء وفي قوة الأسلوب والعبارة))[٦٩] ويمكن دراسة الموسيقى في الأوزان والقوافي ورد العجز على الصدر .

أ- الوزن :- كان للعوامل الحضارية اثر في موسيقى الشعر في القرن الثاني نتيجة لشيوع الغناء وميل الشعراء إلى البحور الخفيفة والمجزوءه وانصرافهم عن الطويلة وحاول بعض الشعراء ان ينظموا في أوزان جديدة لم يستعملها الشعراء من قبل كالمضارع والمقتضب والمجتث[٧٠] .

فشاعرنا واحد من شعراء هذا القرن وقد أسهم في التطور الذي طرأ على الشعر فنظم في مجزوء بعض البحور كالكامل والرمل وقد وجدت له مقطوعة في مجزوء الرمل ومقطوعة أخرى في مجزوء الكامل .

ونلاحظ ان الشاعر يكثر من البحور الخفيفة في هذا الغرض فقد نظم في المتقارب والمنسرح وكان اغلبه مقطعات قصيرة[٧١] وينظم ايضاً في البحور الطويلة فقد وجدت له ست مقطوعات في بحر الطويل وقصيدة في الكامل لذا عملنا جدولاً وزعنا فيه شعره الزهدي على النحو الآتي :-

ت	البحر	عدد النصوص

١	البسيط	٩
٢	الطويل	٦
٣	الوافر	٢
٤	المنسرح	٢
٥	المتقارب	٢
٦	المجتث	٢
٧	الكامل	١
٨	مجزوء الكامل	٢
٩	مجزوء الرمل	٢

وشاعرنا محافظ في أشعاره الزهدية على دائرة العروض الخليلية سائر على خطى أسلافه ومعاصريه .

ب- القافية :- تعد القافية ((قوام الشعر وملاكه وأظهر سماته وأشرف أجزائه))[٧٢] والقافية ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية))[٧٣] وفي العصر الحديث عرفها الدكتور ابراهيم أنيس ((عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات في القصيدة وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن))[٧٤] وقد حرص شاعرنا علىاختيار حرف الروي المناسب لمقطعاته ولقصائده والجدول الآتي يوضح ذلك : -

جدول حرف الروي في قوافي ديوان محمد بن حازم الباهلي

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الباء	٢
٢	التاء	١
٣	الدال	١
٤	الراء	٤
٥	السين	٣
٦	العين	٤
٧	الفاء	١
٨	اللام	٥
٩	الميم	٢
١٠	النون	٣
١١	الهاء	٢

وقد يأتي تكرار القافية عنده في قوله

واستغنى عن كل ذي قربى وذي رحم ... أن الغني من استغنى عن الناس
فكيف أبتاغُ فقراً حاضراً بغنى ... وكيف أطلبُ حاجاتي من الناس[٧٥]

ويظهر هنا انه كرر لفظة (الناس)

عيوب القافية عند شاعرنا :- عد ابن رشيق عيوب القافية قائلاً ((وما يجب أن يراعى في هذا الباب الاقواء والأكفاء والايطاء والاسناد والتضمين فانها من عيوب القافية))[٧٦] وشاعرنا ليس له في قوافيه الا عيب واحد هو الايطاء و((الايطاء اعادة القافية وذلك عيب وقد استعملته العرب))[٧٧] اذ يقول :-

استغنى عن كل ذي قربى وذي رحم ... ان الغني من آستغنى عن الناس
فالرزقُ عن قدر يجري الى أجـل ... في كف لاغافل عني ولا ناسي
فكيف أبتاغ فقراً حاضراً بغنى ... وكيف أطلب حاجاتي من الناس[٧٨]

وقد فصل بين الايطائين ببيت واحد فكلمة (الناس) تستعمل في البيت الأول والثالث وايطاؤها ليس بمكروه بل ملائم للمعنى ومناسب للمقام .

وقد ورد الايطاء في قوله :-

يُمسي ويصبحُ بي عمرٌ ادافعه ... برزق ربي حتى ينفد الأجلُ
لا تمتهن أبداً خدّيك من طمع ... فما لوجهك نورٌ حين يبتذلُ
وابغ المكاسب من أزكى مطالبها ... من حيث تحمدُ حتى ينفد الأجلُ[٧٩]

كذلك فصل بين الايطائين ببيت واحد فكلمة (الأجل) تستعمل في البيت الأول والثالث وايطاؤها ليس بمكروه بل ملائم للمعنى .

ج – ظاهرة رد العجز على الصدر :- لقد وردت عند شاعرنا هذه الظاهرة وعرفها قدامة بن جعفر بان ((يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى ان الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول بيت عرف آخره وبانت له قافيته))[٨٠] . وعرفها احمد الهاشمي ((هو ان يكون أحداهما في أخر البيت والآخر يكون أما في صدر المصراع أو في حشوه أو في أخره واما في صدر المصراع الثاني))[٨١].

ويميل شاعرنا لهذه الظاهرة وذلك رغبة منه لإحداث التكرار النغمي الذي يقوي به الايقاع . كما في قوله :-

وان يك وقتها شيب الغراب ... فلا قضيت ولا شاب الغراب[٨٢]

ولفظة (الغراب) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (الغراب) في صدره ليحدث نغماً موسيقياً . وقوله :-

وآستغنى عن كل ذي قربى وذي رحم ... ان الغني من استغنى عن الناس[٨٣]

ولفظة (استغنى) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (استغنى) في صدره ليحدث نغماً موسيقياً . وقوله في القناعة :-

اليأس خير ، وما للناس من ثمرٍ هاتِ امرأً ذلّ بعد اليأس للناسِ[٨٤]

ولفظة (اليأس) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (اليأس) في صدره محدثاً ذلك لتقوية النغم الموسيقي. وقوله :-

وقد رحل الشباب وحل شيب فهل لك في شبابك من رجوع[٨٥]

ولفظة شبابك في عجز البيت يرد بها الشاعر على الشباب في صدره محدثاً ذلك لتقوية النغم .

الخاتمة

لابد ان أقف على أهم النتائج التي توصلت إليها أتضح لي من خلال التمهيد الذي درسته عن الشاعر ان اسمه محمد بن حازم الباهلي وكنيته (أبو جعفر) وان ولادته في البصرة ثم انتقل إلى بغداد . ثم تحدثت عن أخباره المتفرقة مع المأمون والحسن بن سهل . ثم تحدثت عن وفاة شاعرنا فقد كانت وفاته سنة (٢٠٥ هـ) ثم تحدثت عن شعره ولاحظت انه قصر شعره على بعض الأغراض الشعرية وهي المدح، الهجاء ، الزهد . ثم ختمت التمهيد بنبذة مختصرة عن الزهد ولاحظت

انه كان اتجاهاً قديماً في الشعر فظهر بصورة بدائيه ساذجة ثم نما عوده في القرن الثاني والذي يهمنا هو شاعرنا محمد بن حازم الباهلي .

وقسمت البحث قسمين درست في القسم الأول موضوعات شعر الزهد . أما في القسم الثاني فقد خصصته للدراسة الفنية وتشمل اللغة والصورة والموسيقى فمن خلال دراستي للغة الشاعر تبين لي ان لغته كانت صورة صادقة للغة عصره وأما في صوره فقد كان ميالاً في عرضه لصوره عرضاً قريباً ثم بعدها تحدثت بعد ذلك عن خصائص شعره الموسيقية فذكرت الأوزان والقوافي وظاهرة رد العجز على الصدر

الهوامش

١- ينظر الاغاني، لابي الفرج الاصفهاني ١٤/٩٢، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢/٢٩٥.

٢- نفسه .

٣- ينظر الاغاني ١٤/١١٠ .

(*) الحسن بن سهل:- وهو ابن عبدالله السرخسي تولى وزارة المأمون مرض أخر حياته وتوفي في مدينة سرخس سنة (٢٣٠هـ) ينظر وفيات الأعيان ٣/١٢٠ .

٤- طبقات ابن المعتز ٣٠٨ .

٥- الورقة، ابن الجراح ١١٧.

٦- طبقات ابن المعتز ٣٠٩ .

(**) يحيى بن أكثم :- قاض ولاه المأمون قضاء البصرة ثم قضاء بغداد وعزله المعتصم ثم رده المتوكل إلى عمله. ينظر الأعلام، خير الدين الزركلي ١٦٧/٩ .

٧- ينظر الأعلام ٣٠٢/٦، وتاريخ بغداد ٢٠٥/٢ .

٨- ينظر ألاغاني ١٠١/١٤ .

٩- ديوان الباهلي، محمد بن حازم، محمد خير البقاعي ١١ .

١٠- ينظرالاغاني ٢٠١/١٤، وتاريخ بغداد ٢٠/٢ .

١١- ينظر طبقات ابن المعتز ٣١٨ ومعجم الشعراء ٣٧١ .

١٢- تاج العروس (مادة الزهد) .

١٣- الاغاني ١١٢/٢، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٢٨٢ .

١٤- ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الدكتور محمد مصطفى هداره، ٢٨٢.

(***) سورة يوسف اية (٢٠) .

(****) الصحاح في اللغة والادب، الجوهري، لم أجد لهذا الحديث ذكراً في كتب اصحاب السنن .

١٥- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي ٧١/٣، لم أجد لهذا الحديث ذكراً في كتب أصحاب السنن

١٦- زهر الآداب، الحصري القيرواني ٣٢/١ .

١٧- نفسه ٣٢/١ .

١٨- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، الحافظ ابو نعيم الاصفهاني ٥٩/١ .

١٩- فجح البلاغة، شرح محمد عبده ٦/٤ .

٢٠- ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ٢٨٣ .

٢١- التطور والتجديد في الشعر الاموي، الدكتور شوقي ضيف ٤٢ .

٢٢- ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٢٨٤ .

٢٣- ديوان محمد بن حازم الباهلي، ص١٩٥ .

٢٤- نفسه، ص١٩٧ .

٢٥- نفسه، ص٢١٧ .

٢٦- نفسه، ص٢٠٧ .

٢٧- نفسه، ص٢٠٥ .

٢٨- نفسه، ص١٠٤ .

٢٩- نفسه، ص٢٠٣ .

٣٠- نفسه، ص٢٠٦ .

٣١- نفسه، ص٢٠٥ .

٣٢- ديوان محمد بن حازم الباهلي، ص٢٠٥ .

٣٣- نفسه، ص٢١٥ .

٣٤- نفسه، ص٢١٠ .

٣٥- نفسه، ص٢٠٥ .

٣٦- ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ٥٥١ .

٣٧- ينظر المصدر نفسه، ٥٥١ .

٣٨- الديوان، ٢٠٤ .

٣٩- نفسه، ٢١٢ .

٤٠- نفسه، ٢٠٥ .

٤١- نفسه، ٢٠٦ .

٤٢- نفسه، ٢٠٣ .

٤٣- نفسه، ٢٠٦ .

٤٤- الديوان، ٢٠٤ .

٤٥- نفسه، ٢٠٥ .

٤٦- نفسه، ٢٠٣ .

٤٧- نفسه، ٢١٢ .

٤٨- الصورة في الشعر العربي، د. علي البطل .
٤٩- الديوان، ٢٠٥ .
٥٠- الاسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين اسماعيل، ٢٣٦.
٥١- الديوان، ١٩٨ .
٥٢- نفسه، ٢٠٥ .
٥٣- الديوان، ٢٠٩ .
٥٤- نفسه، ١٩٧ .
٥٥- نفسه، ٢٠٥ .
٥٦- نفسه، ٢٠٥ .
٥٧- نفسه، ٢٠٥ .
٥٨- نفسه، ٢١٠ .
٥٩- نفسه، ٢١٣ .
٦٠- نفسه، ٢١٣ .
٦١- نفسه، ١٩٧ .
٦٢- نفسه، ١١١.
٦٣- الديوان، ٢٠٥ .
٦٤- نفسه، ٢٠٥ .
٦٥- نفسه، ٢٠٧ .
٦٦- نفسه، ٢١٤ .
٦٧- نفسه، ٢١٣ .
٦٨- العمدة ١٣٤/١ .
٦٩- الفن والادب، د. ميشا ل عاصي ٩٩ .
٧٠- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ٥٥٦ .

٧١- أعلام الشعر العربي ٧٦ .

٧٢- مفهوم الشعر، د. جابر عصفور ٤٠٧ .

٧٣- العمدة ، ابن رشيق القيرواني ١٥١/١ .

٧٤- موسيقى الشعر، ابراهيم انيس ٢٤٦ .

٧٥- الديوان، ٢٠٤ .

٧٦- العمدة ٦٤/١ .

٧٧- الموشح، لأبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني ٢٣ .

٧٨- الديوان، ٢٠٤ .

٧٩- الديوان، ٢٠٧ .

٨٠- نقد الشعر، ٦٦ .

٨١- جواهر البلاغة، ٤٠٨ .

٨٢- الديوان، ١٩٧ .

٨٣- نفسه، ص٢٠٤ .

٨٤- نفسه، ص٢٠٥ .

٨٥- نفسه، ص٢٠٥ .

المصادر والمراجع

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، الدكتور محمد مصطفى هـداره، دار المعارف بمصر ١٩٦٣.

٢- الاعلام، خيرالدين الزركلي، ط٣ (د- ت) .

٣- الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) شرحه وكتب هوامشه الدكتور يوسف طويل دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تح الدكتور عبدالعزيز مطر، الكويت ١٩٧٠م .

٥- تاريخ الادب العربي بروكلمان نقله الى العربية عبدالحليم ط٢ دار المعارف بمصر .

٦- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) القاهرة، مط السعادة ١٩٣١م .

٧- التطور والتجديد في الشعر الاموي، د. شوقي ضيف، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر ت القاهرة ١٩٥٢م .

٨- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ط٢ (د- ت) .

٩- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، الحافظ ابو نعيم الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة مكتبة الخانجي مصر (د- ت) .

١٠- ديوان محمد بن حازم الباهلي، جمعه شاكر العاشور، مجلة المورد وزارة الاعلام الجمهورية العراقية، م٦، ع١، ١٩٧٧م .

١١- ديوان الباهلي، محمد بن حازم الباهلي، صنعه محمد خير البقاعي، ط١، ١٩٨٨ دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق .

١٢- زهر الاداب، الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، تح محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر ١٩٥٣م .

١٣- الصحاح، الجوهري (ت ٣٩٣) تصنيف نديم مزعشلي، واسامه مرعشلي دار المعارف العربية بيروت ١٩٧٤م .

١٤- الصناعتين، ابو هلال العسكري، الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٩٨١ .

١٥- طبقات الشعراء، ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تح عبدالستار فراج، دار المعارف بمصر (ط٣) (د- ت) .

١٦- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، دار الكتب العربية. بيروت - لبنان - مطبعة لجنة التأليف والنشر (ط٢)، ١٩٥٢م .

١٧- العمدة، ابن رسيق القيرواني، تح محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر (ط٢)، ١٩٦٤م .

١٨- الفن والادب، الدكتور ميشال عاصي، بيروت. منشورات دار المكتب التجاري (ط٢) (د- ت) .

١٩- معجم الشعراء، للمرزباني، تح عبدالستار فراج، دار احياء الكتب العربية ١٩٦٠م .

٢٠- مفهوم الشعر، الدكتور جابر عصفور دراسة في التراث النقدي المركز العربي للثقافة والعلوم ١٩٨٢م .

٢١- موسيقى الشعر العربي، إبراهيم انيس، دار العلم بيروت (ط٤)، ١٩٧٤م .

٢٢- الموشح، لابي عبدالله بن عمران المرزباني، ط دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥م .

٢٣- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٤٨م .

٢٤- نهج البلاغة، الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت (د- ت) .

٢٥- الورقة، ابن الجراح (ت ٢٩٦هـ)، تح عبدالوهاب عزام وعبدالستار فراج، دار المعارف بمصر(ط٢) .

٢٦- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ابو العباس شمس الدين احمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تح الدكتور احسان عباس، دار الثقافة بيروت- لبنان، مطبعة غريب (د- ت).

شـــروط النشـــر

١) ان يكون البحث خاصا بأحوال البصرة في مختلف نواحي الحياة البصرية ماضيا وحاضرا ومستقبلا وفي العلوم النظرية والعلمية أو يكون البحث له علاقة بالبصرة.
٢) ان يمتاز البحث بشروط البحث العلمي بالطريقة المتعارف عليها عربيا وعالميا.
٣) ترتب هوامش البحث في أخر البحث وبعده فهرس المصادر والمراجع على ان يراعى المنهج العلمي فيهما.
٤) يرفق بالبحث ملخص باللغة العربية واللغة الإنكليزية على ان لا يتجاوز عشرة اسطر.
٥) تقدم الرسوم والإشكال والخرائط مرسومة بالحبر الصيني على ورق مصقول أو ورق شفاف (Traeling Paper) ويراعى في مساحتها ان لا تزيد عن مساحة المجلة طولا وعرضا.
٦) يطبع عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي ومؤسسته العلمية في ورقة مستقلة.
٧) اذا كان البحث سبق وان ألقى في مؤتمر أو ندوة أو كان فصلا مستلا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه اشرف عليها الباحث فيجب الإشارة لذلك.
٨) ان لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في أي مجلة داخل العراق وخارجه وعلى الباحث ان يقدم تعهدا خطيا بذلك.
٩) يقدم البحث بطباعة ليزرية وعلى ورق قياس (A4) وبثلاث نسخ ويرفق معه القرص المرن (Floppy Disk) أو القرص الليزري (CD).
١٠) يخضع البحث المقدم للتقييم السري من قبل :-
أ- الخبراء العلميين من ذوي المكانة العلمية المشهود بها والحياد العلمي النزيه.
ب- المقوم اللغوي.
١١) يتم ترتيب البحوث في المجلة عند النشر وفق اعتبارات فنية ولا علاقة لها بمكانة البحث والباحث.
١٢) ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه وليس بالضرورة انه يعبر عن وجهة نظر المجلة.
١٣) لا يعاد البحث لصاحبه سواء نشر أم لم ينشر.
١٤) على الباحث ان يرفق مبلغ (١٠٠٠٠) عشرة آلاف دينار مع البحث لغرض التقييم العلمي.
١٥) أجور النشر في المجلة (١٠٠٠) ألف دينار لكل صفحة.
١٦) توجه المراسلات حسب العنوان التالي (جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة – رئيس التحرير – ت ٣١٩٦٧١)
E-mail :: center_basrah4@yahoo.com

المكتبة المركزية

المحتويات

١ـ فدكٌ في مرويات الجوهري البصري

الاستاذ المساعد الدكتور/ جواد كاظم النصرالله ١-٩٠

٢ـ أبو اليقظان البصري (ت ١٩٠هـ /٨٥٠م) (دوره ومنهجه في تدوين الأنساب والأخبار)

المدرس الدكتورة / كفاية طارش العلي ٩١-١٣٦

٣ـ الالفاظ الفارسية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ(٢٥٥هـ)

الاستاذ المساعد الدكتور / علي لازم مزبـان ١٣٧-١٥٨

٤ـ مراكز دراسات جامعة البصرة بين (الواقع والطموح)

المدرس الدكتورة / نجاة عبدالكريم عبدالسادة ١٥٩-٢٧٨

٥ـ الزهـد في شعـر محمد بن حازم الباهلي

المدرس المساعد / بيان علي عبدالرحيم المظفر ٢٧٩-٢٤٢